

تحولات الرواية الأردنية: بحث في المضامين والأفكار، والتلقي

Transformations of the Jordanian novel: a study of content, ideas, and reception

أ.د. مريم جبر فريجات*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن، mariamjabr@bau.edu.jo

تاريخ النشر: 2025/06/30

تاريخ القبول: 2025/03/02

تاريخ الاستلام: 2025/01/28

Abstract: This research, aimed to track the creative achievement of the novel in Jordan, and its changes in light of the events and developments witnessed by the world and Jordan in particular, which must be reflected in the various forms of expression, especially the novel, in view of what it can absorb of the details of reality and its stakes, especially the obsession of the Jordanian novelist in searching for a new novel that distances itself from repeating topics and from clinging to the traditions of the classical novel, and adopted the historical inductive approach in tracking the progress of this art in Jordan and the transformations it witnessed in the level of content, with representation of the most prominent works that contributed to shaping this progress, it is showed the ability of the art of the novel to keep pace with these transformations, and the ability of the Jordanian novelist to keep pace with the developments witnessed by this art in artistic styles and techniques, and his ability to express the specificity of his personal experience on the one hand, and his role in expressing the issues of his society and the issues of humanity in general on the other hand, and revealed a real effort to establish the rules of a new novel, in which the writer is the mouthpiece of the recipients in their understanding of the rapid transformations that reality is witnessing, which impose parallel transformations in the form of discourse, its contents, and methods of receiving it at various levels, and the factors that contributed to the reception of the Jordanian novel, and placing it on the map of Arab narrative creativity.

KeyWords: Novel, Contents, Reception, Narration, Discourse

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تتبع المنجز الإبداعي الروائي في الأردن، وتحولاته في ظل ما يشهده العالم، والأردن خاصة، من أحداث ومستجدات لا بدّ لها من أن تنعكس على أشكال التعبير المختلفة، وبخاصة منها الرواية، بالنظر لما يمكن أن تستوعبه من تفاصيل الواقع ورهائنه؛ وبخاصة هاجس الروائي الأردني في البحث عن رواية جديدة تنأى عن تكرار الموضوعات، وعن التشبث بتقاليد الرواية الكلاسيكية، واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي التاريخي في تتبع مسيرة هذا الفن في الأردن، وما شهدته من تحولات في مستوى المضامين، مع التمثيل بأبرز الأعمال التي أسهمت في تشكيل هذه المسيرة، بما يكشف عن قدرة فن الرواية على مواكبة تلك التحولات، وقدرة الروائي الأردني على مجاراة ما يشهده هذا الفن من تطور في الأساليب والتقنيات الفنية، وقدرته على التعبير عن خصوصية تجربته الذاتية من جهة، وعن دوره في التعبير عن قضايا مجتمعه وقضايا الإنسانية عامة من جهة أخرى، كما يكشف عن سعي حقيقي لإرساء قواعد رواية جديدة، يكون فيها الكاتب لسان حال المتلقي في استيعابها معاً لما يشهده الواقع من تحولات سريعة، تفرض تحولات موازية في شكل الخطاب ومضامينه وطرائق تلقيه في شتى المستويات، والعوامل التي أسهمت في تلقي الرواية الأردنية، ووضعها على خريطة الإبداع الروائي العربي.

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ المضامين؛ التلقي؛ السرد؛ الخطاب.

*مريم جبر فريجات

مقدمة:

إن غاية الفنون الأدبية في أحد وجوهها باتت تتمثل في حمل عبء مستجدات هذا العالم، وعبء تحولات الذات الإنسانية في محاولتها لاستيعاب تلك المستجدات واحتمال إرهاباتها، ومن ثم البحث عن صيغة جديدة لكتابة العالم والإنسان (دوليان، 2004، صفحة 97)، عبر طرق وأساليب مختلفة، لعلّ التمثيل السردّي يكون أبرزها، بما تحمل مرجعيّته ورهائنه الزمنية والمكانية التي تكشف ارتباط النص السردّي بمجريات الواقع، بكل ما يشهده من وقائع ومتغيرات تركت بالضرورة أثرها في الذات الإنسانية وفاعليتها في صوغ خطابها عبر محكيّ سرديّ يمثل جوانب من تلك الفاعلية، في شتى حالاتها، بدءاً من خطيّة السرد وسلاسته في التعبير عن واقع فيه من تصوير الواقع كثير من الرومانسية، إلى ما باتت تعانيه الذات من تشظٍ وتناقض وفقدان للمعنى، بأثر مما تشهده من صراعات مختلفة المصادر والغايات، سياسية كانت أم اجتماعية، أم فكرية مذهبية... إلخ

ولا يمكن النظر في النص الروائي بمنأى عن خطابه، وما يكمن خلف هذا الخطاب من مؤثرات، سيكون لها تأثيرها في المتلقي، بما يعيد الاعتبار لدور الأديب في مجتمعه، ولذلك لم يعد غريباً أن يُطرح سؤال الرواية والقيم مثلاً في كتاب للطيف زيتوني (زيتوني، 2018، صفحة 226) 'ينوّه بالدور الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، قصد الكاتب إلى ذلك أم لم يقصد، بما يجعل من الرواية أداة معرفية، وأداة لإنتاج الوعي المجتمعي، إنتاجاً تفرضه وظيفة العمل الروائي، بما يسعى إليه من إعادة لترتيب عناصر الواقع من حوله ونسيج علاقاته بكل تعقيداته، ليقدّم تشكيلاً جديداً يضمّنه بعض فكره ورؤاه في العالم، فلا يعود النص الروائيّ تصويراً فوتوغرافياً للواقع، بل إعادة تشكيل للواقع، بما يختزل من معانٍ ودلالات هي نتاج وعي واستيعاب وتحليل ورؤية، وبما يسهم في خلق وعي جديد وموقف مغاير للسائد والمألوف لدى المتلقي، فالرواية تبقى تجلياً فكرياً في صورة كتابية، وانعكاساً موضوعياً لتطورات تاريخية على مدى الزمن، مع إمكانية الإقرار بأهمية علاقة الإشكالات الاقتصادية والواقعية بتطور هذا الفن (بوخالفة، 2010، صفحة 255).

1. عوامل تحولات الرواية الأردنية:

يمكن رد عوامل تحوّل الرواية إلى عاملين: سياسي وحضاري ثقافي، يعود الأول إلى تعرّض المجتمع العربي لانتكاسات وهزات وصدمات، أسهمت في إفقاد المجتمع العربي استقراره، كفشل مشروع الوحدة العربية، وتلاشي المشروع القوميّ العربي، واجتياح بيروت، وحربي الخليج الأولى والثانية، وفشل عملية السلام، بالإضافة إلى ما شهده العالم من تغيرات تمثلت في هيمنة قطباً وحيداً على العالم، مع انخيار المعسكر الاشتراكي (مرتاض، 1998، الصفحات 14-22)، الأمر الذي ساعد على تصدع المجتمع العربي وفقدانه لثبوتة واستقراره، فقد هيمن الفكر

القومي على مضامين أعمال روائية مبكرة استجابت لما شهده الوطن العربي من تحولات سياسية فرضها احتلال فلسطين ثم اجتياح بيروت، وما رافق تلك التحولات من قمع سياسي وملاحقة ومصادرة للحريات، وكشف بعض تلك الأعمال عن رؤى كتابها تجاه هذا الفكر، مما تجلّى في منحيين (رضوان، 2002، الصفحات 16-22)، قدّم الروائيون في الأول طرحاً إيجابياً أبرز قناعة البطل بصلاحيّة هذا الفكر وضرورته، ومن ثم المطالبة بتأكيد الفكرة القومية وتعميقها، وذلك في روايتي "أوراق عاقر" لسالم النحاس، و"العودة من الشمال" لفؤاد القسوس، وفي الثاني قدم إدانة لهذا الفكر أو للسلوك السياسي المرتبط به، إما بصورة مباشرة تحمّل هذا الفكر كثيراً من نتائج الواقع السياسي العربي، كما في رواية "أنت من اليوم" التي ضمّنها تيسير السبول إدانة ورفضاً واحتجاجاً للفكر القومي والعمل السياسي والواقع الاجتماعي ونظام الأسرة وطريقة الحياة، فعمل على تعرية عالم برمته، كما حرّض على الثورة عليه، وقدّموا كذلك إدانة للعمل السياسي برمته، كما في "رحلتي" لسميحة خريس، أو بصورة غير مباشرة تقدم تعميماً لمحمل أنماط الأيديولوجيات القائمة في الواقع، تحت وطء الإحساس بالهزيمة والعجز وانكسار حلم القومية والوحدة العربية وأفكار تغيير الواقع، في تنالي الهزائم وسقوط المعسكر الاشتراكي في أعمال لمؤنس الرزاز من مثل "أحياء في البحر الميت" و"سلطان النوم" و"وزراء اليمامة" وغيرها..

وأما العامل الآخر الثقافي والحضاري فجاء إفراناً لحركة العالم المتسارعة في عصر المعلوماتية والتكنولوجيا والعمولة، إذ فرض ذلك على الرواية العربية تأملاً ذاتياً لتواكب هذا التطور (أبوشهاب، 2008، الصفحات 32-33)، فاستثمر محمد سناجلة هذا التطور، بتوظيف تقنيات الضوء لكتابة رواية رقمية جديدة تتسق مع هذا التطور، وتقدم نموذجاً مبكراً لهذا اللون في الأردن، في روايات "شات" و"دمعتان على خد القمر" و"ظلال الواحد"، و"ظلال العاشق"، و"صقيع" وجلها منشورة إلكترونياً على موقعه الخاص على الشبكة وعلى موقع كتاب الإنترنت.

فالرواية في الأردن ارتبطت بالعوامل ذاتها التي خضعت لها تحولات الرواية العربية، وأجملها بعض الباحثين بالعاملين السياسي والحضاري الثقافي، بالنظر لما شهده المجتمع العربي إثر هزيمة حزيران، وما تبع ذلك من هزات وصدمات أسهمت في فقد استقرار المجتمع وتصدع بنيانه، إذ إن العوامل ذاتها التي أسهمت في تصدع بنية الرواية التقليدية العربية، هي نفسها أسهمت في إيجاد تحولات الرواية الأردنية، وربما كانت البيئة هي بؤرة هذا التحول، لخصوصية المكان الجغرافي وقربه من الهزة الكبرى التي تمثلت بهزيمة حزيران.

2. التجديد في المضامين:

إن التجديد في المضامين لا بدّ له من أن يخضع لإرهاصات يصدر بعضها عن الذات الكاتبة نفسها،

والبعض الآخر هو نتاج معطيات ومؤثرات خارجية، تتعلق بالواقع وما يشهده من متغيرات. فاستوعب الخطاب الروائي العربي ما شهده الواقع من تحولات سريعة، انعكست على طبيعة الشكل الروائي ومضامينه، بما تجلّى في خروجه عن السائد والمألوف، واعتماده على التجريد والتجديد والتوثيق لمصطلح الرواية الجديدة (برادة، 2011، صفحة 7)، وبما يمكننا معه القول إن هاجس الروائي الأردني، أيضاً، هو البحث عن رواية جديدة تنأى عن تكرار الموضوعات وعن التشبث بتقاليد الرواية الكلاسيكية شكلاً، ولعل النظر في المنجز الروائي خلال العقدين أو الثلاثة الماضية يكشف عن سعي حقيقي لإرساء قواعد فن جديد، رواية جديدة، يكون فيها الكاتب لسان حال المتلقي في استيعابهما معاً (الكاتب والمتلقي) لما يشهده الواقع من تحولات سريعة، تفرض تحولات موازية في شكل الخطاب ومضامينه وطرائق تلقيه، ما يجعل الحديث عن خصوصية التجربة الروائية مسوغاً، خصوصية تفرضها طبيعة التلقي والمشاركة في صناعة الحدث في هذه البقعة من وطن كبير يمر بالأحداث والمتغيرات والتحولات الحضارية بما في ذلك التاريخية والاجتماعية والنفسية والقومية، بوصفها إفرازاً طبيعياً لحركة عالم يسير بتسارع نحو عصر المعلوماتية والتكنولوجيا والعولمة.

ولأن هذه الورقة لا تحتل رصداً للأعمال الروائية على كثرتها وازدياد عددها بشكل مذهل يدعو للتأمل والتساؤل، فسأكتفي هنا بجملة من المضامين التي تشير إلى استجابة الرواية لما يشهده المجتمع العربي والعالمي من متغيرات، ما انعكس على محتواها الفكري والمضموني، كما يشير إلى ما يشهده هذا الفن من تحولات انعكست بالضرورة على الجانب الفني، وسيكون حضور الأعمال الروائية في هذا السياق على سبيل التمثيل لا الحصر، وبما تستدعيه الذاكرة القرائية للأعمال الروائية الواردة، وللدراسات التي تناولت تلك الأعمال وغيرها، وعبر جملة ملحوظات توجز القول في محتوى الرواية الأردنية، أفكارها ومضامينها، وعلاقة ذلك من ثم بالمتلقي.

وجدير بالإشارة، أن سؤال المضامين هنا لا يمكن بحال فصله عن سؤال الفن، فلا يمكن الحديث عن وعي فكري ومضموني منفصلاً عن وعي الكاتب بما يشهده هذا الفن من قفزات واسعة ومتسارعة على صعيد البناء والتقنيات، لكن حدود هذا البحث تقتضي اقتصاره على الوقوف على ما شهدته الرواية في الأردن من تطور ومواكبة لمستجدات الواقع في سبيل رواية جديدة قادرة على استيعاب الأحداث والصراعات التي تشهدها المنطقة، بل العالم بأسره، يكشف اجتراحها عن رغبة، بل إلحاح، لا على رصد ما يشهده المجتمع من تغيرات حسب، بل على تقديم رؤى واقتراحات تجاوز التغمي أو التباكي على ما يحدث.

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين المضامين المختلفة في الرواية الواحدة، فلا يمكن لأي عمل روائي أن يقتصر على مضمون واحد محدد، بل ثمة تداخل تقتضيه طبيعة الرواية ومفهومها وعنايتها بتفاصيل جزء من الحياة

في إطار زماني ومكاني محددين، يتداخل فيهما السياسي والاجتماعي بالاقتصادي وبالذاتي أحياناً، فلم تكن الرواية في الأردن بمنأى عما يشهده الواقع وما يشهده الفن الروائي ذاته من تحولات، بما أثارته من أسئلة اللحظة الزمنية، الماضي/ التاريخ والتراث، والحاضر، والمستقبل، بما يظهر فيها من تنوع في الأفكار والرؤى، وتتبع لسيرونة الحدث وتجليات أثره على الفرد وعلى المجتمع، إلى جانب قلق الإنسان وتخوفه إزاء قضايا فلسفية كبرى كالحياة والموت والاعتراب وغيرها. فإنه ولتيسير النظر والتصنيف لمضامين الرواية الأردنية ارتأت الدراسة أن تحتزل تلك المضامين فيما يأتي:

1.2. مضامين سياسية:

انشغلت الرواية الأردنية بالواقع والهلم السياسي منذ البدايات الأولى التي عرضت لألوان من الظلم التي فرضها الحكم العثماني في رواية "الفتاة الأرمنية في قصر يلدز" (1912)، لعقيل أبو الشعر، قبل أن تستجيب لأشكال أخرى من الظلم والقسوة والتهجير إثر نكبة فلسطين 1948، وما تبعها من تغيرات في المناحي السياسية والاجتماعية والثقافية، وتحضر هنا أعمال عيسى الناعوري، وبخاصة "بيت وراء الحدود"، وكان لمرحلة الخمسينيات بعد ذلك أثرها، بما شهدته من أحداث عربية في مصر والعراق خلال السنوات 1952 و 1956 في مصر، و1958 في العراق، وتركت فاعليتها في أعمال روائية في تلك المرحلة، وهنا تبرز أعمال غالب هلسا، وبخاصة رواية "الضحك" التي صورت ما واكب تلك الأحداث من تحولات، وأسعفه في ذلك إقامته في مصر آنذاك، وانتماءه للحزب الشيوعي، وما طال أعضائه إثر ذلك من ملاحقة واعتقالات وسجن، فيما كانت الرواية داخل الأردن ما زالت تحتفي بموجة الرومانسية الغربية والعربية.

ولذلك، فإن بداية مسيرة الرواية الأردنية بدأت منذ مطلع ستينيات القرن الماضي، بعد صدور رواية "زائرة منتصف الليل" لعبد الكريم فرحان التي تعد علامة مهمة في هذه المسيرة، وهي الرواية التي تمثل استجابة لمرحلة الرومانسية التي سادت في خمسينيات ومطلع الستينيات (حداد، 2010، الصفحات 23-25)، إذ تعالت على مشكلات الواقع لصالح موضوع الحب وما يتصل بها من مشاعر العناء والشقاء والسهد، لكن، وبالنظر إلى ما شهدته الرواية من تطور وقفزة نوعية على صعيدي الشكل والمضمون، وبخاصة بصدور "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول التي تمثل نقطة التحول وانعطافة كبرى وتأسيسية للرواية الأردنية (الكركي، 1986، صفحة 86)، جراء ما قدمته هذه الرواية من رؤية لأزمة الوجود العربي، في ضوء ما شهدته الرواية العربية، وما قدمته أيضاً على صعيد التقنيات الفنية (برادة، 2011، صفحة 37)، ليتفاقم في السبعينيات الإحساس بالعبثية وفقدان القيمة وعدم القدرة على الاستمرار في مجتمع تتنازع الرغبة في امتلاك وطن بات يُعد قيمة عظمى خارج المخيم والسفر وفشل

العمل الثوري. فألقت أحداث الواقع العربي بظلالها على التجربة الأدبية بشكل عام في الأردن، والرواية بشكل خاص، إثر هزيمة حزيران 1967، بل إن هذا الواقع الجديد أحدث تحولاً في مضامين الأعمال الروائية التي صدرت عقب هذا الحدث الجلل، فكانت البداية بـ "أنت منذ اليوم 1968"، و"الكابوس" .. "لأمين شنار" و"أوراق عاقر" لسالم النحاس في العام نفسه، لتليها بعد عقد من الزمن أعمال روائية تمثلت أثر الحدث على المجتمع الأردني الذي صار نسيجه تشكيلاً من السكان الأصليين والفلسطينيين القادمين من الضفة الأخرى، فكانت العلاقات الجديدة محورا لتناول أعمال روائية، من مثل "العودة من الشمال" لفؤاد القسوس، وبرزت حياة المخيم وذكريات الحرب والهجرة من مضامين حازت اهتمام رواية مثل "التميز" لمحمد عيد.

غير أن فترة الثمانينيات من القرن الماضي شهدت تطوراً ملحوظاً، لا في عدد الروايات فحسب، بل في مواجهة أخرجت الروائي من عوالمه الرومانسية في كلاسيكيات المراحل الأولى إلى وقوف صلب وإع على أرض الواقع، وظهور "قضايا الإنسان بوصفه بشراً يقع تحت وطأة معاناته الإنسانية الواعية بعيداً عن الترويج السياسي والدعائية" (الأزعي س.، 1997، صفحة 7)، واندغام بشق القضايا الاجتماعية والإنسانية التي صورت أثر الأحداث في مظاهر كالفقر والسفر والاعتراب، إلى جانب التخلف الاجتماعي الذي رسّخ أشكالاً من الصراعات الاجتماعية والمذهبية والنفسية، وقضايا الحرية والديمقراطية، في أعمال لجمال ناجي وإبراهيم نصر الله ومؤنس الرزاز وعلي حسين خلف وهاشم غرايبة.

وإلى ذلك، فقد أثمرت مرحلة الثمانينيات علامات بارزة في مسيرة الرواية الأردنية، تمثلت بصدور عدد من الأعمال التي كانت بدايات لروائيين شهدت تجاربهم تطوراً لافتاً في الكم والنوع في حقبة التسعينيات بعد ذلك، كما في العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين، ومنها "بيت الأسرار" لهاشم غرايبة، و"الطريق إلى بلحارث" لجمال ناجي، و"أحياء في البحر الميت" لمؤنس الرزاز، و"ماري روز تعبر مدينة الشمس" لقاسم توفيق، و"اعترافات كاتم صوت" و"متاهة الأعراب في ناطحات السراب" لمؤنس الرزاز. وجل هذه الأعمال هاجسها ما يشهده الأردن والوطن العربي من متغيرات وإرهاصات سياسية عملت على تغيير ديموغرافيا السكان، كما عملت في الوقت نفسه على تمثل الأثر النفسي الذي تركته الأحداث على مشاعر الإنسان وعواطفه، وردود فعله إزاء ما يحدث، بما خلّفته من خلخلة في البنية النفسية، بما شهدته من اضطراب وتعقيد وانفصال عن الواقع، سواء أكان هذا الانفصال بالهجرة من أجل تحسين الأحوال المعيشية، أم كان انفصلاً نفسياً كاشفاً لعدم قدرة الإنسان، وبخاصة المثقف، على التواءم مع واقع جديد يقف فيه عاجزاً عن تحقيق حلم التغيير.

لقد استوحى الروائي الأردني ما يحدث من متغيرات نتاج الحروب والنكسات التي مرّ بها الوطن العربي، إلى

جانب التشكيل الحزبي والجماعات الدينية، وبخاصة حزب اليسار الشيوعي وجماعة الإخوان المسلمين، وعلاقتها بالسلطة. فنجد أثر احتلال فلسطين وما تبعه من تهجير للسكان، قد تسرب إلى مضامين الرواية، فصور إبراهيم نصر الله في "زمن الخيول البيضاء" معاناة العائلة الفلسطينية التي تعيش الاستعمارات المختلفة منذ الاحتلال العثماني وحتى الاحتلال الصهيوني، فبرزت القضية الفلسطينية موضوعاً حاز اهتمام الروائيين في الأردن عبر مراحل القضية المختلفة، بل إن لخصوصية الموقع الجغرافي للأردن وقربه من تداعيات الأحداث السياسية في المنطقة، جعل الرواية في مرمى الأثر الأكثر وقعا في تمثلها لمعاناة الإنسان الفلسطيني، سواء في مقاومته للمستعمر أو في تحمله لتبعات التهجير القسري من أرضه وبيته، بدءاً من نكبة 1948 إلى نكسة 1967، إلى مراحل أخرى ارتبطت بما شهدته البلاد من تطورات هي نتاج ممارسات العدو وتضييقه على الشعب الفلسطيني، وتنكيله بمن ظلوا صامدين مقاومين مدافعين عن الأرض، فحملت الرواية موقف الكاتب ورؤاه تجاه القضية والحق الفلسطيني ومعاناة الإنسان في مواجهته لأشكال الظلم والاستبداد والتهجير، وهي مضامين حفلت بها، بشكل أكثر تركيزاً، روايات إبراهيم نصر الله، ومنها "الملهاة الفلسطينية" 1992-2019، وأرواح كليمنجارو، و"دبابة تحت شجرة عيد الميلاد"، وغيرها..

اتخذ توظيف ما شهدته الأمة والعالم من الحروب والانتكاسات منحنيين، أحدهما رمزي، والآخر تاريخي واقعي، في المنحى الأول برع أحمد الزعبي في العودة إلى ما خلفته الأحداث منذ الحرب العالمية الثانية من آثار انعكست على نفوس الناس، وما اعترأها من أسى وقنوط وقلق وجودي وإحساس بفقدان القيم، كما في "نعاس فارس"، حيث جعل من الحرب حريقاً يتداعى الناس ركضاً للتفرج عليه أو للتظاهر ضد ما يحدث، وفي المنحى الآخر، الواقعي التاريخي، صوّرت كثير من الروايات تفاصيل الأحداث التي عاصرها الكتاب، وأثر تلك الأحداث على البنية النفسية والاجتماعية للإنسان العربي. فلم تعد الرواية صنعة الظرف التاريخي أو الراهن السياسي والاجتماعي، بقدر ما أصبحت نتاجاً فكرياً وثقافياً لا يكتفي بأن يعكس ما يطفو على سطح الواقع، بل يمتد إلى ما يعمور في داخله من صراعات فكرية وتناقضات كشفت هشاشة البنية الفكرية للمثقف في مواجهته لتغول أصحاب الفكر المشوه ومفارقات الأنساق الثقافية السائدة التي افتقدت القيم الأصيلة. ويمكن الإشارة هنا إلى رواية الثقافة والمثقفين "أعمدة الغبار" لإلياس فركوح، وإلى ما تمثله شخصية المثقف في رواية "أفاعي النار" لجلال برجس.

2.2. مضامين تاريخية:

ثمّة روائيون عملوا على بعث التاريخ لتقديم تصورات للحاضر ورؤاه، في محاولة للبحث عن هويته وهوية

المجتمع الذي ينتمي إليه، سواء أكان ذلك عبر العودة إلى التاريخ البعيد الغائر في عمق الزمن، كالعودة إلى مراحل ماضية من التاريخ والحضارة العربية، كالعصر الأموي، ثم الصراع بين الشرق والغرب في مراحل متقدمة، واللهات نحو الحضارة الغربية، كما عملوا على مقارنة الأزمنة المتجددة التي شكّلت الحاضر (حداد، 2001، الصفحات 35-36)، وهو ما عجزت عن فعله روايات الرواد الأوائل، إذ ظلت الرواية عاجزة عن تمثيل الواقع، كما في "المجد المنحوت" لعبد الحميد الأنشاصي مثلاً. بينما تم استحضار الماضي من أجل الكشف عن ذات الفرد والعالم في بحثه عن هوية (الكبيسي، 2000، صفحة 10)، والتاريخ فيما بعد لتقدم إدانة لتاريخ الأمة وحاضرها وواقعها المهزوم إثر نكسة 67، سياسياً وفكرياً قومياً وحزبياً قائماً على قمع الحريات، ابتداءً تيسير سبول في "أنت منذ اليوم"، كما سبق، تلتها أعمال روائية لمؤنس الرزاز أدان فيها القمع السياسي الذي خلق تحولاً في الشخصية سلوكها وانتماءاتها وانحرافات الأخلاقية، كما أدان الخراب في الفكر القومي والإيديولوجيا والأنماط الفكرية السائدة وأنظمة الحكم والإعلام والثقافة والاقتصاد والاستهلاك في واقع لا يحتمل المواجهة بين الحزبية والعشائرية والمخيمات في ظل أحلام ظلت عاجزة عن تحقيق التغيير، كما في "اعترافات كاتم صوت" و"مناهة الأعراب في ناطحات السراب" و"مذكرات ديناصور" وغيرها.

من جانب آخر، تناولت بعض الروايات تاريخ المدن الأردنية حضارياً واجتماعياً، وهذا التحول نحو الماضي بدأ منذ ثمانينيات القرن العشرين، برواية "المجد المنحوت" لعبد الحميد الأنشاصي، التي تناولت عملية نحت مدينة البتراء، وإن ظلت هذه الرواية قاصرة عن تقديم رؤية في مشكلات الحاضر، وهو ما التفتت إليه الرواية التاريخية بعد ذلك في العقود الأخيرة التي تلت تلك المرحلة، إذ حازت مدينة البتراء فيما بعد اهتماماً خاصاً جعلت بعض الروائيين يلتفتون مرة أخرى إلى تاريخها وجماليات بنائها وحضارتها الإنسانية والعمرانية، إلى استنطاق الحجر في "بترا ملحمة الأنباط" و"أوراق معبد الكتبا" لهاشم غرايبة، واستعادة حكايات البدو والصدمة الحضارية لدى الرحالة وباحثي الآثار في "حيوات سحيقة" ليحيى القيسي الذي اتخذ من مدينة البتراء مسرحاً لأحداث العمل وفاعلاً فيها.

وإلى ذلك، فقد كشف موقف الكاتب من التراث، ووعيه بهويته وهوية النص الذي يبدعه، وبنوعية الحوار الذي يقيمه النص الروائي مع هذا التراث، سواء كان هذا الحوار بالقطيعة. أم بالاندماج الكامل فيه، والأطر المرجعية التي ينبثق منها، مما يسهم في بلورة وعيه بذاته وبطبيعة الدور الذي يؤديه في الواقع الاجتماعي الذي صدر عنه (حافظ، 2004، الصفحات 179-180)، فقد عمل الكاتب الأردني على استحضار التراث، بم يشيوعي فكري وفني يقفان وراء تعامل الروائي مع الموروث، بشتى أشكاله، الشعبي منه والتاريخي والأسطوري. والباحث

المتمعن في مسيرة الحركة الأدبية في الأردن، يلحظ أن خلف السلوك الإبداعي في التعامل مع الموروث محاولة احتواء به، تهرباً من المحاسبة السياسية أو الاجتماعية في حقبة ما في سياق عملية هجائية مبطنة للنظام الاجتماعي والقائمين عليه (الأزرعي س.، 2015، صفحة 213)، وكشف للهشاشة والتشظي الذاكراتي وهوية الإنسان وفقدان القدرة على التواءم مع الواقع، فيما يتجلى في روايتي "بيت الأسرار" و"المقامة الرملية" لهاشم غرايبة، وروايات "الملائكة لا تمشي على الأرض" و"التميمة السوداء" و"طريد الرمم" لحسام الرشيد.

كما حازت التجربة الصوفية اهتمام بعض الروائيين الأردنيين، إذ لجأ بعضهم إلى استعادة تاريخ الصوفية، واستحضار الخطاب الصوفي في مسارات مختلفة، عبر توظيف أقوال أعلام الصوفية وأشعارهم كابن عربي والحلاج وجلال الدين الرومي وغيرهم، أو عبر مقدمات مطولة واقتباسات من نصوص لهؤلاء الأعلام، كما في "الحمراوي" لرمضان الرواشدة، و"المقامة الرملية" لهاشم غرايبة، أو عبر بناء العمل برمته على الفكر الصوفي في أعمال ليحيى القيسي، ومنها "أبناء السماء" و"حيوات سحيقة" و"بعد الحياة بخطوة"، وهذا "اللجوء إلى الأبعاد الصوفية لبعض الخطابات كان بمثابة تعبير عن خلق واقع استشرافي جديد مضاد للواقع المتردي، وهكذا جاءت معظم النصوص ملازمة لقضايا الذات والمحيط بها من خلال إشارات غير مباشرة تعمل على إضاءة النصوص حول هذه القضية" (شهاب، 2008، صفحة 17).

3.2. مضامين اجتماعية:

توسلت الرواية الأردنية بالتاريخ الاجتماعي لتقول الحاضر، الذي لا يمكن فصله عن التاريخ السياسي، لتمرير رؤى جديدة مختلفة عن السائد أو نقيضة له. عبر جملة من الأبعاد الفكرية التي ما زالت تحكم بناء المجتمع وتسييره، وتوجه علاقات أفراد القائمة على ذكورية الفكر وغطيته وامتداده ما بين انشداد لمفاهيم الذكورة والبطولة والعرض والعيب والحرام، ووقوع تحت أثر متغيرات في مفاهيم الدين والتحرر، مما ظهر في شرفات إبراهيم نصر الله (الهذيان، رجل الثلج، العار...) التي قدّم فيها ما استطلعه من قضايا اجتماعية تركت آثارها ووشومها في نفوس الناس وأرواحهم، وكشفت عن أشكال من الصراع مع السلطة بمفهومها الواسع الذي يجاوز السلطة السياسية، ليمتدّ إلى سلطة المجتمع بما هو عليه من جمود وتمترس خلف فكر محكوم بعادات وتقاليد تشلّ حركة الفرد، وتحول دون تحقيق رغباته وطموحاته بالتحرر وبناء الذات الخاصة، دون اعتبار لوظيفة أو مكانة أو جنس.

فظهرت مختلف البيئات في أعمال روائية تمثل أزمنتها المختلفة، بدءاً من رواية "زائرة منتصف الليل" 1962، التي عرضت لكثير من جوانب الحياة الاجتماعية، وواكبت قضايا المجتمع في تحولاته الاجتماعية التي

فرضتها قضايا التعليم وعمل المرأة، والهجرة من الريف إلى المدينة وما تبع ذلك من مواجهات وصراعات اجتماعية ونفسية. وما رافق ذلك من كشف لجوانب الحياة ذات الصلة، كالثقافة والفنون، فتحدثت عن دور السينما في تلك المرحلة المبكرة، إلى جانب قضايا اجتماعية أخرى كاختلاف العادات والتقاليد، من مثل ما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق وموقف الأسرة والمجتمع حيالها، فيما أظهرت رواية وجه الزمان لطاهر العدوان، حالة التخلف والعوز، والخصب، والقحط، وما رافقها من استقواء المراهبين على قوت الناس. أو ما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي للمدن في مراحل معينة، كما فعل جمال ناجي، إذ رصد التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها في القرار السياسي في إحدى مناطق عمّان في روايته "عندما تشيخ الذئب"، وكما فعلت سميحة خريس في تصويرها لأجيال من مجتمع مدينة إربد في "شجرة الفهود"، وللحياة الاجتماعية والاقتصادية لعمّان في ثلاثينيات القرن الفائت في "دفاتر الطوفان" لخريس و"الشهبندر" لهاشم غرايبة، وهي أعمال عمدت إلى رصد العلاقات والتحولات الاجتماعية وما رافقها من تحولات في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع والنفسية للشخصيات في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الأردن.

فقد عني الروائيون بإبراز خصوصية المكان والمجتمع الأردني، وبخاصة في مراحل تشكله القائم على التعدد والتنوع الذي فرضته ظروف الهجرة من الداخل ومن الخارج، كالهجرة من الريف إلى المدينة، أو الهجرة بفعل الاحتلال والاستبداد، كنزوح الفلسطينيين والشركس والشيشان، وهو تنوع سيفرض تنوعاً في العادات والتقاليد والسلوك والمواقف والرؤى تجاه كثير من القضايا السياسية، والاجتماعية كالموقف من المرأة وطبيعة العلاقات بين الناس.

واكبت الرواية الأردنية ما شهدته الواقع من تحولات، من مجتمع قروي محكوم بعادات وتقاليد خاصة إلى مجتمع مدني، وجد فيه الإنسان نفسه في حالة ضياع نتاج الغموض والتعدد والسباق المحموم في سبيل لقمة العيش، ما نجم عنه حالات من الاغتراب، بنوعيه الجسدي والنفسي، فصورت بعض الروايات ما شهدته المجتمع من حالات الارتحال خارج الوطن، إلى جانب إحساس الشخصية باغتراب نفسي ترافق أحياناً باغتراب فكري انعكس على مضامين العمل وشكله، كما ظهرت صور الاغتراب والتشظي عن الذات داخل الوطن في مثل رواية "الحماوي" لرمضان الرواشدة، والمعاناة في سبيل لقمة العيش في رواية "الطريق إلى بلحارث" لجمال ناجي، وبراري الحمى لإبراهيم نصر الله. كما تمثلت تجربة السجن وعلاقة السلطة بالمنتظمين للأحزاب في رواية "القط الذي علمني الطيران" لهاشم غرايبة.

وقد "تتخذ أزمة البطل المغترب مظهرها وجودياً وعيشياً" (حداد، 2003، صفحة 73)، يكشف عجز

الشخصية عن تحقيق ما تصبو إليه في واقع لا يكثر بما يمر داخل تلك الشخصية من آمال وطموحات، الأمر الذي يجعلها تؤثر الانسحاب والانكفاء على الذات، وهو طرح كان بدأه مبكراً تيسير سبول، في روايته الفارقة "أنت منذ اليوم" على اتساع الرؤية المبكرة لديه في استيعاب الواقع المحلي والعربي والقومي، تلا ذلك أعمال صورت "تجليات جادة لأزمة الشخصية الاغترابية بنماذجها المختلفة خارج القرية، كما نرى عند محمد عيد في "التميز" وغالب هلسا في أكثر من عمل" (حداد، 2003، صفحة 75)، وهي أزمة جيل دفعته اختيارات يبدو أقسامها الهروب بالانتحار، كما فعل السبول، وأهونها الهجرة الداخلية، أو حتى خارج البلد، كما صور جمال ناجي في روايته "الطريق إلى بلحارث" التي كشفت حجم المعاناة الجسدية والنفسية والفكرية التي عاشتها الشخصية في انسلاخها عن مجتمعاتها نحو مجتمع عربي آخر كان يقف على عتبات الحضارة والتغيير، وبخاصة في موقفه من المرأة ومن القادمين من مجتمعات أخرى لها عاداتها وتقاليدها وثقافتها المختلفة.

يتصل بما سبق، استجابة الرواية لما شهدته الواقع في الأردن من متغيرات في المنحى الاقتصادي، ففي حين دفع الفقر وطموحات تحسين الواقع المادي إلى الهجرة، عمل بعض الروائيين على طرح مشكلات تخص عالم المال والأعمال، وما شهدته هذا العالم من مظاهر انعكست على حياة الناس، كارتفاع أسعار النفط، وغلاء الأسعار، وتفاقم حالات الفقر مقابل ثراء فاحش للقليلين، واستغلال ما شهدته البلاد من طفرة اقتصادية خلال حقبتَي السبعينيات والثمانينيات، ويمكن في هذا السياق الإشارة إلى روايات "الحياة على ذمة الموت" لجمال ناجي، و"المدير العام" لزياد قاسم، و"الكومبرادور" لمؤيد العتيلى.

وإلى ذلك، فقد صورت الرواية الأردنية في نماذج من مثل "مخلفات الزواجر الأخيرة"، حيث عمد جمال ناجي إلى تصوير المدينة الأردنية تصويراً فنياً موازياً، تمكن فيه "تمن رصد التحولات الاجتماعية-الاقتصادية، منذ بواكير التجمع الأولى حتى العلاقات في المدينة في أوج تعقدها وتشابكها" (رضوان، 1999، صفحة 21). ومثل هذه الروايات قدمت انتقاداً للواقع الاقتصادي الذي شهدته البلاد في بداية التحول الاقتصادي الذي انعكست آثاره على بنية المجتمع، وبنية الإنسان المهمش الذي وقع ضحية امتداد الظلم ما بين الماضي والحاضر، وضحية التزييف الإعلامي، وهيمنة رأس المال على مصائر الناس، فكان لذلك كله أثره على الإبداع الذي واكب ذلك التحول، وأسفر عن نتاجات أدبية جديدة، وبخاصة الرواية منها، بوصفها الفن الأكثر احتمالاً لتفاصيل الواقع وتحولاته.

تلك كانت الإرهاصات الأولى التي أثمرت أعمالاً روائية استجابت لما شهدته المجتمع من أحداث ومتغيرات، لكن منذ التسعينيات إلى العقد الأول من القرن الحالي شهد تطور الرواية في الأردن تسارعاً ملحوظاً وتنوعاً

لافتا في المضامين، ما يشير إلى مواكبتها لما اجترحته الرواية العربية من مضامين جديدة، إلى جانب استمرار عنايتها بالمضامين الأولى نتاج حركات الواقع ومتغيراته، ومن ذلك، مثلاً، يبرز الاهتمام بتتبع ما يشهده العالم من صراعات مذهبية ودينية. فقد استجاب الكتاب لما يحدث خارج محيطهم الجغرافي، من أثر الصراعات المذهبية والدينية على العلاقات الاجتماعية والصلوات التي تقطعت بسبب الحروب الأهلية والصراعات المذهبية، كما في رواية "خيوط الدم" لجمال أبو حمدان في رصده لأثر النزاعات الدامية في لبنان وفي البوسنة، ما أدى إلى تشرد شعوب حملت ثقل تلك الآثار وبشاعتها وتشوّهاتها إلى بلاد المهجر. ومع تفاقم الهزائم والانتكاسات التي طالت الروح الإنساني بفعل الانفتاح العولمي، وظهور موجات التدين الزائف، والإرهاب بصورة مختلفة، إرهاب الفكر الذي أودى ببطل رواية سميحة خريس "يحيى"، وبطل رواية جلال برجس "أفاعي النار" التي كشفت اتساع مفهوم الإرهاب في الوقت الراهن وتشعبت غاياته وأهدافه لتمتد من الاجتماعي إلى الثقافي والفكري والديني، بما يجاوز صورته الأولى التي كانت تتصل بالسياسة وأهدافها.

وقد هيأت تلك التحولات حقلاً واسعاً خصباً للكتاب للتعبير عن رؤاهم ومواقفهم تجاه ما يحدث، وبدا ذلك واضحاً بشكل لافت في الفن الروائي، وهو الأكثر رحابة لاستيعاب النماذج البشرية المختلفة التي أسهمت في تشكيل الواقع الراهن وتمثلات آثار العنف والإرهاب عبر أزمنة وأمكنة متباينة تباين مدى تغلغل الفكر الرجعي وسطوته فيها. إذ شغل هذا الموضوع حيزاً غير قليل من الخطاب الروائي في مختلف أقطار الوطن العربي، خلال العقدين الأخيرين من هذا القرن خاصة، فأعادت الرواية العربية طرح أسئلة هذا الواقع، لتكشف عمق المأساة التي آل إليها إنسان هذا العصر، وبخاصة الإنسان العادي المهتمش، والمتقف الذي وجد نفسه في مواجهة قاسية وغير متكافئة الأدوات مع قوى جمعت إلى الجهل والتخلف، تظهر بالدين صوتاً يغوي العامة، ويجعل منهم درعاً داعماً لتنفيذ مآربها، وذلك هو المحور الأساس الذي بنى عليه الروائي الأردني جلال برجس روايته "أفاعي النار" التي رصدت ظهور ألوان من المدّ الإرهابي وما يتصل به من تجارة السلاح والتمظهر بالدين سبيلاً لتحقيق أطماع تنذر بعجز أو موت يطال صانع حالاته ومشاهده قبل غيره، ورواية "ذئب الله" لجهاد أبو حشيش التي تتبعت انفعالات الشخصية ومدى تأثرها بالزمن وتحولاته، والحدث، والمكان، والجنس، والدم والموت، بما يكشف عن رؤية فنية وموضوعية تحكم عمل الكاتب وتوجّه رسالته الاجتماعية والإنسانية، التي تجعل من العمل الروائي وثيقة إدانة لسيرورة الشر وأدوات عمله الفاعلة في تدمير المعنى في هذا الكون، وانتصاراً لقيم الخير الحرية والعدل.

4.2. التجارب الذاتية للكتاب:

أسهمت مرجعيات بعض الكتاب في طبيعة المضامين التي يقدمها عبر عمله الروائي، على اختلاف تلك

المرجعيات ومحمولاتها، نفسية كانت أم اجتماعية أم سياسية أم دينية أم إيديولوجية، فاستدعى إلياس فركوح مثلاً تجربته الشخصية في "أرض الينبوس"، كما أفادت سميحة خريس من عملها الصحافي في نقد الصحافة بسخرية لاذعة في رواية "نارة: امبراطورية ورق"، كم أفادت كذلك ليلي الأطرش في "مرافئ الوهم" من عملها في الإعلام لتقدم إدانة للإعلام المأجور والمواقف المتغيرة وسيطرة الأنظمة الحاكمة على وسائل الإعلام، وتشابك مصالح الإعلام بالسياسة لتؤدي في نهاية المطاف ببنية الإنسان الفرد نفسياً واجتماعياً، ولعل خير تمثيل لهذا اللون من ترجمة التجربة الشخصية رواية محمود عيسى موسى "بيضة العقب" التي مرّ من خلالها تجربته في مقاومة مرض السرطان، وفي الوقت نفسه رؤاه تجاه ما يجري في واقعه والعالم.

ومما لا شك فيه أن تأثر الرواية في الأردن بما شهدته المجتمع من تحولات لم يقتصر على اجترار موضوعات ومضامين جديدة اقتضتها طبيعة تلك التحولات وما رافقها من تغيرات اجتماعية واقتصادية وحضارية، بل بدا واضحاً أيضاً انعكاس ما شهدته الرواية العربية والعالمية أيضاً على الشكل الفني للرواية، إذ بدأت تميل إلى مغادرة الشكل التقليدي الكلاسيكي الذي عرفناه عند الأوائل، ومحاولة تجريب أشكال جديدة تتلاءم والمضامين الجديدة، وبخاصة تلك التي عكست تحولات النفس الإنسانية في تلقيها وتأثرها بما يحدث، كالشعور بالفراغ والتصدع والاعتزاز النفسي وانهايار القيم، "فتنوعت أساليب السرد الروائي في الروايات التجريبية، ومن أساليب السرد التي وظفت، تيار الوعي، وأساليب اللاوعي، والسرد التنبؤي، وسرد الذكريات، كما أدخل في السرد أساليب الفنون الأدبية وغير الأدبية" (مخيلان، 2000، صفحة 74)، مما جسده أعمال لمؤنس الرزاز، وأحمد الزعبي، وإبراهيم نصر الله، والياس فركوح، ومحمد سناحله في الرواية الرقمية، دون أن تتخلى الرواية الأردنية عن الشكل التقليدي الكلاسيكي عند بعض الروائيين كزياد قاسم ورشاد أبو شاور وجمال ناجي.

3. خصوصية الخطاب والتلقي في الرواية الأردنية:

على الرغم من أن بنية الأدب تراوح بين بنيتين: بنية المجتمع الذي نشأ فيه، وبنية اللغة التي كتب بها، فهو في آخر الأمر يمثل بنية مستقلة، يظل أحد عناصرها غائباً وناقصاً وشارداً، إلى أن ترده القراءة إليها، وهذا العنصر هو القراءة ذاتها، التي قد تدفع القارئ/الناقد إلى أن ينصب نفسه رقيباً أيديولوجياً، أو سلطوياً، أو خاضعاً لذوقه الشخصي، مما يمكن تلمسه من خلال منظورات ادعاء امتلاك المعرفة المطلقة، وحق إصدار الأحكام النهائية، والشعور بالغبطة والكمال والراحة (عياشي، 1998، صفحة 149). ولعل شعور القارئ برضاه عما يقرأ، هو في الحقيقة ناشئ من أنه وجد فيه شيئاً مما يحبه ويميل إليه، فكأنما وجد نفسه لا نفس الكاتب، وإعجابه بميول الكاتب وآرائه، إنما هو إعجاب بميوله وآرائه هو ذاته، إذ وجد إنساناً آخر صوّر نفسه بالصورة التي هي عليها

أفكار يعبر عنها غيره (الشايب، 1973، صفحة 120)، أو هي أفكار محملة بشحنات إنسانية عالية، تستثير العواطف وتحيي ميل النفس الطامحة للحرية في الفكر والمعتقد، والأحلام التي ستعيشها الذات القارئة خلال معاشتها لعوالم النص وحيوات شخوصه ومصائرهما، ولعل ذلك يعود إلى عناية الكاتب بصوغ نسيج للعمل يعمور بالحياة، وأبنية مسكونة بالمشاعر، ومن هنا فقد أصبح المتلقي شريكاً في العمل وطرفاً رئيساً يعوّل عليه في ملمة أطراف الحكاية، والإحاطة بتفاصيلها، وملء فراغاتها من أجل إدراك المعنى، بما يجعل من المتلقي أحد أطراف اللعبة: القامع أو المقموع أو المتفرج، دون أن يسلم من شيء من نثار شظايا الصراع والمواجهة، كما في أعمال مؤنس الرزاز مثلاً.

ولعل سعي القارئ إلى البحث في ما وراء المعلن والظاهر من النص، وفي ما يضمه الخطاب من أنساق وتشكيلات مسكوت عنها، يشكل بحد ذاته نوعاً من الرقابة يمارسه المتلقي على الكاتب/ المبدع والنص معاً، الأمر الذي يجعل معنى النص متعدداً بتعدد قرائه، ويكون له وفق إيكو مظهران: المعنى الذي يريد قائل الخطاب نقله، والمعنى الذي يعمل الخطاب على نقله فعلاً (إيكو، 2001، صفحة 25)، فيما تتحقق في القراءة موضوعية القارئ، إذ يضيف على العمل الأدبي صفة الوجود المطلق بإنتاجه إياه عن طريق القراءة (سارتر، 2005، صفحة 46). فالمتلقي حاضر في النص بصور مختلفة، قبل القراءة وبعدها، في مرحلة كتابة النص، إذ لا بد للكاتب أن يفترض وجود قارئ ضمني ومحتمل يشارك في الكتابة، ويحاكم ذاكرة الكاتب وفكره لحظة الكتابة، كما سيحاكم النص ويعيد كتابته لحظة تلقيه فلم يعد المتلقي يكتفي بالوقوف عند العتبات الأولى في النص، ولا يكتفي بالشرح والتفسير، بل يجاوز ذلك إلى النبش والبحث في ما يختزنه النص، وما ينطوي عليه من مضمرات قد يوهم اكتمال النص وانغلاق بنيته بعدم أهميتها (فريجات، 2017، صفحة 176)، لكن الحال هنا أن النص هو "أثر مفتوح على الأقل من خلال كونه يؤول بطرق مختلفة دون أن تتأثر خصوصيته التي لا يمكن أن تحتزل" (إيكو، 2001، صفحة 17)، وعلى عاتق القارئ ومشاركته الفاعلة باتت تقع مهمة تخليق المعنى المضمر المسكوت عنه في النص.

ويمكننا النظر إلى فعل القراءة هنا من منظورات مختلفة، بدءاً من قراءة المتلقي العادي الذي يكتفي بتحقيق غايته من القراءة كالتذوق والاستمتاع، إلى القراءة الناقدة التي يهتم فيها قارئ العمل بتشكيل رأي نقدي في وضع العمل المقروء في سياقه الإبداعي الداخلي المحلي والخارجي العربي وربما العالمي، وثمة عوامل تسهم في تعزيز تلك القراءات، ومن أهمها الدراسات النقدية على اختلاف مستوياتها وأنواعها، ومنها النقد الإعلامي والانطباعي، والنقد الأدبي القريب من الاختصاص، والنقد الأكاديمي، إلى جانب الجوائز المخصصة لفن الرواية،

التي باتت من الكثرة والقيمة المادية ما يدفع كثيرا من الروائيين لتجريب حظوظهم في هذا المنحى، كما يشكّل الفوز دافعا للقراءة، وعلى الأغلب بدافع الفضول لمعرفة ما وراء الفوز من قيمة فنية أو ميزة منحت الرواية أفضلية ما على غيرها.

وعلى الرغم من غلبة النقد الإعلامي والانطباعي الذي يحتفي بصدور رواية حديثة النشر، فإن ثمة اهتماما نقديا لافتا بالرواية في الأردن، ينطلق من أروقة الجامعات، وإن يكن هذا الاهتمام جاء متأخرا، متمثلا في العقدين الأخيرين، فثمة كثير من الدراسات النقدية التي قدّمها ويقدمها أساتذة النشر الحديث والسرديات خاصة، إلى جانب تدريسهم لنماذج من الرواية الأردنية، وتوجيههم لطلبة الدراسات العليا نحو مزيد من الاهتمام بفن الرواية في الأردن، وهو اهتمام يندرج في إطار الاهتمام العام بالرواية في الوطن العربي والعالم، كما يجيء ترجمة عملية لانطلاق مقولات من مثل (هذا زمن الرواية) و(الرواية ديوان العصر)، وجاء ذلك في ضوء ما نلاحظه من ازدياد معدل الإبداع الروائي في مستوى الكتاب، ومعدلات الاستقبال في مستوى القراءة، ومن ثم في مستوى اهتمام المؤسسات النقدية والثقافية (عصفور، 1999، صفحة 43)، كمؤسسة شومان، ووزارة الثقافة، ومختبر السرد الأردني، إلى جانب مختلف الهيئات والمنتديات الثقافية، كما تتضمن مقولة "الرواية ديوان العصر" إغواء جعل للرواية متسعا أكبر من اهتمام الكتاب والنقاد والمتلقين على السواء في مقابل ديوان العرب الأول وهو الشعر. ولعلّ في ذلك كله ما يحيل إلى ما شهدته وتشهده الرواية العربية عموماً، ومنها الرواية في الأردن، من تطور وتجدد في الشكل والمضامين، ناهيك عن الزيادة المذهلة في الكم، ما يستدعي النظر والتفكير لتفسير هذا الانفجار الروائي الذي رأى فيه بعض الروائيين مجرد تراحم في ساحة ضيقة للغاية، تفرضه الرغبة في الحكى واستسهال الرواية بوصفها فنا إبداعيا، وإن يكن ذلك لا ينفي الجودة لدى تجارب أصلية معدودة (خريس، 2019).

بينما رأى بعض الباحثين أن هذه الكثرة، وهذا التراحم هو نتيجة توسع آفاق النشر، والتنافس على نيل الجوائز الروائية، فضلاً عن المزاج القرائي العام الذاهب إلى الرواية، إلى جانب غياب السجال النقدي والمتابعات النقدية الحقيقية؛ لأن النقد لم يعد مهتماً بتقييم المواد المنشورة، أو غير قادر على متابعتها، ومناقشتها، في ظل غياب شبه التام للمعيارية الفنية في تناول ما نشر من نصوص روائية، سواء أكان على مستوى الأردن، أم كان على مستوى الوطن العربي (النوايسة، 2013، صفحة 13). وهذا الاهتمام القرائي، بصوره المختلفة، يتبعه بالضرورة اهتمام لافت لدى الكتاب، سواء منهم الذين ابتدأوا روائيين، أم لدى غيرهم من كتبوا في فنون أخرى شعراء وقاصين، ونذكر هنا على سبيل المثال، الشاعر أحمّد ناصر الذي أصدر روايته "هنا الوردة" عام 2016 وبات واضحا بجلاء "أن الرواية - باعتبارها جنساً أدبياً ناهضاً خلال النصف الثاني من القرن العشرين - باتت

تكتسح شيئاً فشيئاً مجالات اهتمام القارئ بكل مختلف مشاريعه، كما أن أسماء الروائيين باتت أكثر لمعاناً وخفوقاً في سماء الأدب، وتوج ذلك بجائزة نوبل لشيخ الروائيين العرب نجيب محفوظ" (أشبهون، 2007، صفحة 119).

وشأن نظرائهم في الوطن العربي والعالم، سعى الروائيون في الأردن لإثبات تميزهم في هذا الفن، سواء كان ذلك عبر الإعلام، ومتابعة الاهتمام الأكاديمي، والتقدم للجوائز الكبرى المخصصة لهذا الفن، ويمكن هنا الإشارة إلى ما حققه روائيون أردنيون على هذا الصعيد، ما أسهم بانتشار أعمالهم عربياً، وعالمياً عبر الترجمة، ومنهم: إبراهيم نصر الله، وسميحة خريس، وجلال برجس، ولىلى الأطرش، وقاسم توفيق وغيرهم ممن حازوا جوائز محلية ودولية أسهمت في تعزيز تجربتهم في المستويين المعنوي والمادي إلى جانب الشهرة العربية والعالمية التي حققتها الترجمة إلى لغات أخرى. وعلى الرغم من أهمية هذه المكتسبات التي حققها الروائيون عبر مسيرة الرواية الأردنية، فقد رأى بعض النقاد أن تلك الجوائز كانت عاملاً في ركوص كتاب الرواية في الأردن، حيث لم يكن جيل التسعينيات يتابع حالة الصعود في هذه الكتابة، بل ينكص إلى مراحل سابقة في تاريخ هذا النوع الأدبي وكأن الكتابة الروائية والخبرة المتراكمة التي أنجزها كتاب الرواية العرب، وفي العالم، لم تصل إلى كتابنا الجدد الذين أغرقتهم سهولة النشر وفساد أحكام لجان الجوائز العربية والأردنية التي أوهمت عدداً منهم بأنهم يمتلكون ناصية الشكل الروائي (صالح، 2003، صفحة 66).

فمما لا شك فيه أن هذه الجوائز أسهمت في وضع الرواية الأردنية على خريطة الرواية العربية والعالمية، وكان ذلك مبكراً، منذ اقتسام روايتي "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول والكابوس لأمين شنار لجائزة "دار النهار" للرواية العربية بعد الهزيمة، عام 1968، بصرف النظر عن الآراء التي تشير إلى ما يشوب كثيراً من الجوائز من اعتبارات يرتد بعضها إلى عوامل غير موضوعية وغير فنية، مما هو خارج عناية هذا البحث. وقد أدرك الباحثون العرب والمبدعون على السواء أهمية الجوائز الأدبية في تشجيع المبدعين ودعمهم مادياً ومعنوياً، وفي ازدهار حركة الترجمة، فمنذ فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل العالمية للآداب عام 1988، ترتب على الجائزة ازدهار حركة ترجمة الرواية العربية إلى اللغات الأخرى على نحو غير مسبوق، ما أدى إلى شيوع الرواية العربية في الخطاب الأدبي، وتزايد حضورها في المشهد الإبداعي العالمي، وفي مكتبات بيع الكتب في العواصم والحوضر الأوروبية والأمريكية، الأمر الذي خلق إحساساً مبكراً بأننا منذ ذلك الوقت أصبحنا نعيش زمن الرواية (عصفور، 1999، الصفحات 65-66).

ومع بداية الألفية الثالثة شهد الوطن العربي اهتماماً لافتاً في تخصيص الجوائز للفن الروائي بعد أن كان الاهتمام لعقود مضت قبلاً ينصب على الشعر، وكان للرواية الأردنية نصيب لا يستهان به، أسهم في ترجمة

الروايات الفائزة إلى اللغات الأخرى، كما أسهم في خروجها من الهامش المحلي إلى دائرة الاهتمام العربي والعالمي.

4. خاتمة:

استطاعت الرواية في الأردن أن تطرح كثيراً من القضايا التي تتعلق بقضايا الواقع في الأردن وخارجه، بدءاً من تمثلها للمد الرومنسي العالمي في البدايات، إلى تمثلها لما شهده الوطن العربي والعالم من أحداث سياسية ومتغيرات اجتماعية، واستيعابها من ثم لطروحات العصر في مستوياتها المختلفة سياسياً واجتماعياً، ومشكلات الواقع وهوميه اليومية في مجتمع له خصوصيته الجغرافية وتشكلاته السكانية التي فرضتها الأحداث السياسية، فأبرزت مواقف الروائيين والمثقفين عموماً تجاه تلك القضايا، وقد راوحت تلك المواقف بين الرفض والإدانة لفكر لم يستطع تحقيق حلم الإنسان العربي بالحرية والحياة الكريمة، وموقف إيجابي محمل بالأمل في إمكان تحقيق تلك الأحلام من خلال النضال الوطني وأفكار القومية العربية والوحدة العربية، على الرغم مما شهده الواقع وعرضت له الروايات من تشظ في البنية الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، دفعت باتجاه مزيد من الشروحات وأشكال الخراب والفساد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

وإلى ذلك فقد حظيت الرواية الأردنية بألوان من التلقي، تجلت باهتمام أكاديمي، وعناية من مؤسسات رسمية وخاصة بالترويج لهذا الفن، من خلال الدراسات والبحوث المتخصصة، وعقد المؤتمرات والندوات، وتخصيص الجوائز، ما أسهم بازدهار هذا الفن ومواكبته لما يشهده العالم من تطور وتحديد في الشكل والمضامين، كما شهد تحولات واکبت ما شهد هذا الوطن من تحولات في شتى المجالات.

*أجري هذا البحث بدعم من جامعة البلقاء التطبيقية خلال إجازة التفرغ العلمي الممنوحة للباحثة (أ.ز.د. مريم جبر فريجات) خلال العام

الدراسي 2024/2023 (This work has been carried out during sabbatical leave granted to the author *
from AL- Balqa' Applied University (BAU) during the academic year 2023/2024).

5. مراجع البحث:

1. أحمد الشايب. (1973). أصول النقد الأدبي. القاهرة: مكتبة النهضة.
2. أمبرتو إيكو. (2001). الأثر المفتوح.
3. أمبرتو إيكو. (2001). الأثر المفتوح. دمشق: دار الحوار.
4. جابر عصفور. (1999). زمن الرواية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
5. جابر عصفور. (1999). زمن الرواية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. جان بول سارتر. (2005). ما الأدب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7. جورج دوليان. (5 مارس، 2004). الرواية الجديدة في فرنسا، مغامرة الشكل والمضمون. مجلة اتلنيري، صفحة 97.
8. حكمت النوايسة. (2013). *جدل المبني والمعنى في الرواية*. عمان: وزارة الثقافة.
9. خالد الكركي. (1986). *الحركة الروائية في الأردن*. عمان: الجامعة الأردنية.
10. خريس، سميحة. (27 1، 2019). *الرواية الأردنية تغادر الهامش لتخوم المركز العربي بانزياحات نوعية*. تم الاسترداد من وكالة الأنباء الأردنية: <https://www.petra.gov.jo/Include/InnerPage.jsp?ID=89985&name=news&lang=ar>
11. رامي أبو شهاب. (2008). *بناء الشخصية الرمزية في الرواية الأردنية 1967-2003*.
12. رامي أبو شهاب. (2008). *بناء الشخصية الرمزية في الرواية الأردنية 1967-2003*. عمان: أمانة عمان الكبرى.
13. رامي أبو شهاب. (2008). *بناء الشخصية الرمزية في الرواية الأردنية 1967-2003*. عمان: أمانة عمان الكبرى.
14. سليمان الأزعي. (1997). *الرواية الجديدة في الأردن*. عمان: وزارة الثقافة.
15. سليمان الأزعي. (2015). *هواجس الرواية الأردنية الجديدة*. عمان: الآن ناشرون.
16. سميحة خريس. (27 1، 2019). *الرواية الأردنية تغادر الهامش لتخوم المركز العربي بانزياحات نوعية*. (وكالة الأنباء الأردنية، المحاور) بتر.
17. صبري حافظ. (2004). *متغيرات الواقع العربي واستجابة الرواية الجمالية، فصل من كتاب، الرواية العربية "ممكّنات السرد"*. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب.
18. طراد الكبيسي. (2000). *قراءات نصية في روايات أردنية*. عمان: أمانة عمان الكبرى.
19. عبد الله رضوان. (1999). *الرأي، دراسة في سوسولوجيا الرواية العربية*. عمان: وزارة الثقافة.
20. عبد الله رضوان. (2002). *أسئلة الرواية الأردنية، دراسة في أدب مؤنس الرزاز الروائي*. عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
21. عبد المالك أشبهون. (2007). *الرواية العربية (من التأسيس إلى آفاق النص المفتوح)*. المغرب: وزارة الثقافة.
22. عبد الملك مرتاض. (1998). *نظرية الرواية*.
23. عبد الملك مرتاض. (1998). *نظرية الرواية*. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة.
24. فتحي بوخالفة. (2010). *شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة*. إربد: عالم الكتب.
25. فخري صالح. (2003). *أفق التحولات في الرواية العربية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
26. لطيف زيتوني. (2018). *الرواية والقيم*. بيروت: دار الفارابي.
27. محمد برادة. (2011). *الرواية العربية وروايات التجديد*. دبي: دار الصدى.
28. محمد برادة. (2011). *الرواية العربية وروايات التجديد*. دبي: دار الصدى.
29. مريم فريجات. (2017). *مؤشرات النص السردي*. عمان: وزارة الثقافة.
30. منذر عياشي. (1998). *الكتابة الثانية وفاتحة المنعة*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

31. منى محيلان. (2000). *التجريب في الرواية الأردنية 1960-1994*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
32. نبيل حداد. (2001). *الرواية والواقع الاجتماعي، فصل من كتاب الرواية في الأردن*. المفرق: جامعة آل البيت.
33. نبيل حداد. (2003). *الرواية في الأردن: فضاءات ومراكز*. عمان: وزارة الثقافة.
34. نبيل حداد. (2003). *الرواية في الأردن: فضاءات ومراكز*. عمان: وزارة الثقافة.
35. نبيل حداد. (2010). *كاميليا الرواية الأردنية*. إربد: عالم الكتب.

